التثنية في القراءات القرانية
دراسة دلالية

م.م حيدر محمد رحم
جامعة ذي قار - كلية الاداب - قسم اللغة العربية

المقدمة

يعد علم القراءات من العلوم التي انبرى لها الكثير من الدارسين قدماء ومحدثين ، وخاضوا في غمراتها الدرس تلو الدرس فاختلفوا في تلك القراءات فأولوا وقدروا ، فتعددت القراءات وكثر القراء .

إن اختلاف القراءات القرآنية أوجد مجالا واسعا للبحث في نوع هذا الاختلاف وفوائده وأسبابه ، فأصبحت القراءات علما مستقلا له رجاله ، وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وتناقض .

ولما للتثنية من جمال وحسن في الرونق ، ولها من الرنة ما يستهوي الفؤاد ، ولكثرة القراءات القرآنية فيها آثرت أن أجمع القراءات القرآنية في التثنية ، وأن أعرضها في ملخص وأبين أثرها اللغوي ، والسبب الذي من أجله جاءت القراءة على الصورة التي هي عليها .

إن للقراءة القرآنية أثرا واضحا في تغيير الدلالة أحيانا وقد يحدث هذا التغيير في بنية الكلمة أو في حركتها من فتح أو كسر أو تسكين أو تشديد أو تخفيف أو غير ذلك مما سيأتي الحديث عنه من خلال البحث.

(العدول في القراءات القرآنية بين الجمع والتثنية والإفراد)

١.العدول من الجمع إلى التثنية :

تتغير دلالة القراءات القرآنية من الجمع إلى التثنية كما في قوله تعالى : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) (الانبياء:٧٨)

فجاء بالجمع في قوله (لحكمهم) ؛ لإضافة الحكم إلى الحاكم وإلى المحكوم لهم ،وقيل جيء بالجمع للتعظيم ، مثل قوله تعالى : (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ)(النساء: من الآية١١) ، وهو يريد أخوين[١]. وقرأها ابن عباس على الأصل (وكنا لحكمهما) ، مستدلا في ذلك على قول من قال : إن أصل الجمع التثنية[٢] فنرى كيف أن قراءة ابن عبـــاس قد غيرت دلالة الكلمة من الجمع إلى التثنية ، ومثل ذلك قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)(الحج: من الآية١٩) قال : (خصمان) وبعد ذلك قال : (اختصموا) بصيغة الجمع مراعاة للمعنى ، إذ مع كل خصم أفراد ، وقال الزركشي : (ولم يقل اختصما اكتفاء بالخبر عن أحدهما بالدلالة عليه)[٣] وقرأ ابن أبي عيلة[٤] (اختصما) مراعاة للفظ ، ، وذكر النحاس في كتابه إعراب القرآن : (قال أبو جعفر : وهذا تأويل من لا دراية له في الحديث ولا بكتب التفسير ؛ لأن الحديث في هذه الآية مشهور رواه سفيان الثوري وغيره عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال : سمعت اباذريقسم قسما أن هذه الآية نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعتبة وشيبة ابني ربيعه والوليد بن عتبة ، وهكذا روى عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس))[٥] فالخصمان هما : الخصم الأول المسلمون ، والخصم الثاني المشركون ، وعندما التقوا للمبارزة والقتال صاروا جماعة فقال عز من قال : (اختصموا) ، فقراءة ابن عبلة صحيحة وليس هناك شك في صحتها ، ويؤيد ذلك ما قاله الزمخشري : ((ولو قيل هؤلاء خصمان ، أو اختصما جاز ، يراد المؤمنون والكافرون))[٦] .

والتعبير بالاسماء المجموعة عن الاثنين صيغة موجودة في العربية كقول الراجز[٧]

ومهمهين قذفين مرتـــــين
ظهراهما مثل ظهور الترسين

ويعد هذا من سعة العربية([٨]).

٢.العدول من التثنية إلى الجمع :

وقد يأتي النص القرآني بلفظ التثنية والقراءة بلفظ الجمع كقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات:١٠)

قرأ يعقوب : (فأصلحوا بين أخوتكم) بالتاء على الجمع[٩] ((فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على اللفظ لا على المعنى ، والحجة لمن قرا ه بالتاء أنه

رده على المعنى لا على الفظ))[١٠] وخص الاثنان بالذكر دون الجمع ((لأن أقل من يقع الشقاق بينهم اثنان ، فإذا لزمت المعالجة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم ؛ لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين))[١١] ، والمراد بالأخوين الآوس والخزرج[١٢] .

وأحيانا يقرأ القارئ بضمير الجمع والنص القرآني يكون بلفظ التثنية ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (آل عمران:١٢٢)

قرأ عبد الله : (والله وليهم) رجع بهما إلى الجمع ، معيدا الضمير إلى المعنى لا على اللفظ[١٣] ، ومثل ذلك قوله تعالى : (إن يكن غنيا أو فقيرا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا)(النساء: من الآية١٣٥) قرأ أبي : (فالله أولى بهم) بضمير الجمع ، والقراءة بضمير الجمع شاهد على أن المراد جنس الغني والفقير[١٤] ، أي الأغنياء والفقراء ، ويعترض أبو حيان على عطف الضمير

بـــ(أو) بل يجب إفراده ، ويضع لذلك تقديرا مفاده : فليشهد عليه ولا يراعي الغني لغناه ولا لخوف منه ، ولا الفقير لمسكنته وفقره ، ويكون : (فالله أولى بهما) ليس هو الجواب بل لما جرى ذكر الغني والفقير عاد الضمير على ما دل ما قبله[١٥] .

٣.إقامة المفرد مقام المثنى :

ويظهر ذلك في قوله تعالى : (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً) (الكهف:٣٦)

قرأ أهل المدينة : (لأجدنّ خيرا منها منقلبا) على الإفراد ، والتثنية أولى ؛ لأن الضمير أقرب إلى الجنتين[١٦] ، وقد تقوم التثنية مقام المفرد كما في قوله تعالى : (فَالْتَقَى الْمَاءُ)(القمر: من الآية١٢)، قرئ : (فالتقى الماءان) وجوزوا ذلك ؛ لأن الماء اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع ، وذكر متضمنا للتثنية لأنه أريد به بيان النوعين ؛ لأن الماءين هما ماء السماء وماء الأرض ، وتقوي قراءة التثنية دلالة الفعل (التقى) ؛ لأن الالتقاء لا يكون إلا في اثنين[١٧] ، ومما جاء في العربية قول الشاعر :

فلو إنّا على حجر ذبحنا
جرى الدميان بالخير اليقين
ثنى الدم لبيان أنهما
عدوان لا تمتزج دماؤهما[١٨].

التعاقب بين الصيغ الصرفية

١.التعاقب بين التضعيف والألف

قد تأتي القراءة القرآنية بالتعاقب بين التضعيف والألف كما في قوله تعالى : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ)(البقرة: من الآية٣٦) قرأ حمزة : فأزالهما بالألف ، والباقون فأزلهما[١٩] والمعنى بين القراءتين مختلف (فأزل في الخطأ ، وأزال من التنحية عن المكان ، ومادة (زلل) تدل على الاسترسال بالشيء دون تعمد ، وقصد وفي مقام الآية جاءت بسبب الترغيب مكرا أو خديعة[٢٠] ، ((فالحجة لمن أثبت الألف أن يجعله من الزلل ، وأصله (فأزللهما) فنقلت فتحة اللام إلى الزاي فسكنت اللام فأدغمت للمماثلة))[٢١] ، وقد استحسن الزجاج كلتا القراءتين[٢٢] .

٢.التعاقب بين الحركات :

لم يقتصر التعاقب بين النص القرآني والقراءة القرآنية على الحروف وإنما جاء بين الحركات أيضا ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (الاحقاف:١٧)

بكسر النون الأولى ، وقد قرأ الحرميان بفتحها ، وحسنت هنا شيئا لكثرة الكسرات[٢٣] ، ، ومما جاء أيضا قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) (الحج:١٩) وعن الكسائي أنه قرأ (خصمان) بكسر الخاء[٢٤] .

ومما حمل على هذا المعنى قوله تعالى : (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ)(لأعراف: من الآية٢٢) قرأ الحسن (يخصّفان) بكسر الخاء ، والأصل يختصفان ،فأدغم وكسر الخاء لالتقاء الساكنين ، وقرأ ابن بريدة ويعقوب (يخصّفان) بفتح الخاء ألقى حركة التاء عليها ، ويجوز (يخصّفان) بضم الياء من (خصف يخصف).

والمعنى أنهما أمرا بترك اللباس فبدت سوأتهما[٢٥] ، وأما في قوله تعالى : (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ)(البقرة: من الآية١٠٢) فقد قرأ الحسن وابن عباس والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن ابزي (الملكين) بكسر اللام ، وقيل : أراد بالملكين (داود وسليمان) ، وأطلق عليهما هذا اللفظ مع أنهما عبدان لله تعالى ، وجاز ذلك لأن الناس اعتادوا إطلاق هذا اللفظ عليهما[٢٦] .

ومما جاء على لغة الحجاز قوله تعالى : (وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)(البقرة: من الآية٣٥) ، قرئ : (ولا تقربا) بكسر التاء ،

فالحجازيون يكسرون حرف المضارعة (التاء والهمزة والنون) وقد يكون للجانب الصوتي أثر كبير في توجيه القراءة القرآنية كما في قوله تعالى : (أَنْ يُصلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحا)(النساء: من الآية١٢٨) ، قرأ الكوفيون بضم الياء وكسر اللام من غير الألف والتخفيف ، وقرأ الباقون بفتح الياء وفتح اللام ، وبألف بعد الصاد والتشديد[٢٧] ، في (يصّالحا : يتصالحا ، فأبدلت التاء صادا وأدغمت في الصاد ؛ لأنها من حروف الصفير ، وإذا وجب إدغام أحد الحرفين في الآخر كان إدغام الأنقص صوتا في الأزيد صوتا أولى[٢٨] .

٣.التعاقب بين السكنات والحركات :

ومن ذلك قوله تعالى : (إنَّ عِدَّة الشُّهُور عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً)(التوبة: من الآية٣٦) ، قرأ أبو جعفر بإسكان العين ، ولا بد من مد ألف (اثنا) لالتقاء الساكنين ، فسمع عن العرب (التقت حلقتا البطان) بإثبات ألف (حلقتا)[٢٩] ، وهذا كله من اللهجات ، فالمشهور عن الحجازيين أنهم يكسرون الثاني ، فهم يقولون : نبقة ، نبقة وفخذ ، والتميميون يسكنون الثاني فيقولون : نبقة ،فخذ ، والذي حدث أن القبيلتين قد فارقتا في هذا الموضع من العدد لغتهما وأخذت كل واحدة منهما لغة صاحبتها وتركت اللغة السائدة عنها من باب التأثير والتأثر ، فقال الحجازيون (عشرة) بالسكون ، والتميميون (عشرة) بالكسر[٣٠] .

وأما قوله تعالى : (ا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الْغَار)(التوبة: من الآية٤٠) ، قرئ (ثاني) بسكون الياء ، وهذا أيضا من اللغات ، إذ جاءت على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الإعراب ، ونفى الآلوسي أن يكون هذا من الضرورة ، خلافا لمن زعم أنه من أحسن الضرورة في الشعر[٣١] ، ومما جاء أيضا قوله تعالى : (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً) (الكهف:٨١) ، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو (أن يبدلهما) بفتح الباء وتشديد الدال[٣٢] .

وقد تحذف الضمة ويعوض عنها بالسكون لنقلها كما في قوله تعالى : (كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً)(لقمان: من الآية٧) ، قرأ نافع (أذنيه) بسكون الذال تخفيفا[٣٣] ، وورد كذلك في قوله تعالى : (بَيْنَ الصَّدَفَيْن)(الكهف: من الآية٩٦) ، قال ابن خالويه : ((إنها تقرأ بضم الصاد والدال وفتحهما ، وبفتح الصاد وإسكان الدال ، فالحجة لمن قرأه بالضم أنه أتى باللفظ على الأصل وأتبع الضم الضم ، والحجة لمن فتحها : خفة الفتح ، والواحد عنده (صدف) ، والحجة لمن أسكن الدال أنه جعله اسما للجبل ذاته غير مثنى)[٣٤] .

٤. المبني للمجهول :

ويسمى المبني للمفعول وهذه الظاهرة قديمة في اللغة العربية ، وقيل إنها من بقايا اللغات القديمة التي توحدت فيما بعد في اللغة العربية الموحدة حيث استعاضت عنها بظاهرة الأفعال المطاوعة[٣٥] ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : ((وقد بدأت هذه الظاهرة بالتطور في عصر نزول القرآن الكريم ، ولذلك نجد الفعل المطاوع واردا في النص القرآني في سياق الأفعال المبنية للمجهول في بعض الأحيان))[٣٦] كما في قوله تعالى : ٍ) إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّه)(البقرة: من الآية٢٢٩) ، قرأ أبو جعفر ويعقوب وحمزة بضم الياء ، وقرأ الباقون بفتحها ، فمن فتح الياء جعل الفعل لهما وسمى الفاعل ، ومن ضم الياء جعله فعل ما لم يسم فاعله ، ومعنى (يخافا) في الآية (تيقنا) ؛ لأن الخوف يأتي بمعنى اليقين ويأتي بمعنى الشك أو الظن[٣٧] ، ومما يؤيد تفسير الخوف بالظن ، قراءة أبي : (إلا أن يظنا) لقوله تعالى : (إِلَّا أَنْ يَخَافَا) ، ومما جاء في الشعر قول الشاعر :

أتاني كلام عن نصيب بقوله
وما خفت يا سلّام أنك عائبي

ومعنى الخوف في البيت (الظن) لأنهما متقاربان[٣٨] .

ولم تعجب قراءة حمزة (يخافا) الفراء ، وأثبت ذلك قائلا : ((ولا يعجبني ذلك))[٣٩] ، أما أبو علي الفارسي فقد وصف قراءة حمزة بالمستقيمة ، وحجته في ذلك أنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه فلم يبق شيء يتعدى إليه[٤٠] ، فالخوف واقع في هذه القراءة على الرجل والمرأة[٤١] .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (أن يصلحا) (أل عمران – ١٢٨) ، بضم الياء وكسر اللام من غير الألف والتخفيف ، وقرأ الباقون بفتح الياء وفتح اللام ، وبألف بعد الصاد والتشديد[٤٢] .

٥. الهمز

الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق ، ينطق شديدا ، والهمزة مجهورة عند القدماء ومهموسة عند المحدثين[٤٣] ، ((ويعد الهمز من خصائص العربية الفصحى ، وبها نزل التنزيل العزيز ، وهي خصيصة من أهم خصائص لهجات بني تميم وقيس وأسد وعقيل))[٤٤] ، والهمزة لا تدغم في مثلها عند النحويين ، أما عند القراء فتدغم في مثلها[٤٥] ، ، ومما قرئ في التثنية قوله تعالى : (فَرَجُلٌ

وَامْرَأَتَان)(البقرة: من الآية٢٨٢) ، بسكون الهمزة وهي قراءة أهل مكة[٤٦] ، ووجه ذلك ((أنهم كانوا يخففون الهمزة هنا ويضعفون حركتها على المعتاد من أمرها فتقرب من الساكن …… والدليل على أنها قريبة من الساكن امتناع العرب من أن يبتدأ بالساكن ، فلما صارت إلى قولك : (وامرأتان) بالغوا في ذلك فأبدلوها ألفا ، فصارت (وامرأتان) بألف ساكنة))[٤٧] ، ويحمل على هذا قراءة ابن كثير لقوله تعالى : (وكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا)(النمل: من الآية٤٤) ، قرأها (سأقيها) بالهمز ، ومما جاء نظير ذلك قول الشاعر :-

يقولون جهلا ليس للشيخ عيل
لعمري لقد أعيلت وأن رقوب
(يريد : وأنا رقوب)[٤٨] .

وقرئ بتسهيل الهمزة وإبدالها واوا وإدغام الواو فيها كما في قوله تعالى : (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا)(لأعراف: من الآية٢٠) ، قرأ مجاهد والحسن (سوّتهما) بالإفراد وتسهيل الهمزة[٤٩] ، ويعلق الدكتور إبراهيم السامرائي على مثل هذا النوع من القراءات بقوله : (وهذا النموذج من القراءات التي لا يرضاها النحاة لابتعادها عن سنن القواعد النحوية)[٥٠] ومثّل لذلك بقوله تعالى : (وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُم)(النساء: من الآية١٦) ، قرأ بعضهم (واللذأنّ) بالهمز)[٥١] ، ومثل هذه القراءة وردت في قوله تعالى : (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)(طـــه: من الآية٦٣) ، فقد قرئت (هذأن) بالهمز[٥٢] .

٦. التخفيف والتضعيف :

اللسان العربي لا يميل إلى التضعيف لثقله ، فلذلك نجدهم يتخففون منه تارة بحذف أحد المضعفين وتارة أخرى بتحويله إلى حرف علة .

ويعلق سيبويه علىمثل هذه الظاهرة بقوله ان التضعيف ثقيل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد[٥٣] ، ومما جاء في التثنية قوله تعالى : (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (التحريم:٤) ، قرأ الجمهور (تظاهرا) بتشديد الظاء ، وأصل الكلمة تتظاهرا بتاءين فأدغمت التاء في الظاء[٥٤].

وقرئ على هذا المعنى قوله تعالى : (فَذَانِكَ بُرْهَانَان)(القصص: من الآية٣٢) ، قرأ ابن كثير (فذانك) بتشديد النون وهي لغة[٥٥] ، وقال المبرد إنه بدل من لام ذلك كأنهم أدخلوها بعد نون التثنية ، ثم قلبت اللام نونا لقرب المخرج وأدغمت ، وكان القياس قلب الأولى لكنه حوفظ على علامة التثنية)[٥٦] فالتخفيف في نون المثنى في (اللذان وهذان وذان) ينسب لقريش والتشديد ينسب لتميم وقيس وأسد ، والتشديد أكثر توكيدا من التخفيف لأن في التشديد زيادة في المعنى وتأكيدا لا تحمله الصيغ المخففة[٥٧] كما في قوله تعالى : (وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ)(النساء: من الآية١٦) ، قرأ ابن كثير (واللذان) بتشديد النون[٥٨] ، والذي (ساد في العربية الفصحى هو ما جاء على لهجة أهل الحجاز وبني أسد ، أما الصيغة المشددة (اللذانّ) فبقي استعمالها محصورا في لهجة تميم وقيس)[٥٩]

: (ما قرئ على إحدى لغات العرب)

ومن ذلك قوله تعالى : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ)(الاسراء: من الآية٢٣) ، قرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغانّ) على التثنية[٦٠] ، فألف التثنية في قراءة حمزة علامة تدل على التثنية لا الضمير ، وهذه إحدى لغات العرب وتسمى (لغة أكلوني البراغيث)[٦١] ، وقراءة (يبلغنّ) (أبين في العربية لأن أحدهما واحد وتجوز الثانية كما تقول جاءاني أحدهما أو كلاهما على البدل)[٦٢] ومما قرئ على هذه اللغة أيضا قوله تعالى : (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)(طـــه: من الآية٦٣) ، فقد أجمع القراء على تخفيف النون في التثنية إلا ابن كثير فإنه شددها .

وهذه القراءة جاءت على لغة طائفة من أحياء العرب لأن القرآن نزل بلغة كل حي من أحياء العرب[٦٣] ، ووقف النحويون وقفة طويلة إزاء هذه الآية الكريمة لا مجال للتفصيل فيها لوجودها في كتب النحو وكتب التفسير وسأكتفي بمناقشة الموضوع من جانب لهجي إذ يقول المستشرق (جيم رابين) (هناك احتمال بأن المثنى كان على صيغة واحدة هي لزوم الألف والنون في لهجة مكة ، بصرف النظر عن حالته الإعرابية ، وهكذا كان في لهجة شمال اليمن)[٦٤]

وأجمع النحويون المعنيون بكتاب الله على أن (هذان) اسم (ان) جاء بالرفع على لغة (بلحارث بن كعب) يجعلون المثنى في حالة الرفع والنصب والخفض بالآلف مطلقا)[٦٥] ومن ذلك قول الشاعر[٦٦] :

فإطرق إطراق الشجاع ولو يرى
مساغا لناباه الشجاع لصمما

أما قراءة أبي عمرو (إن هذين) فجاءت على اللغة المكشوفة ، أي على سنن العربية ، ولم يشته الفراء[٦٧] هذه القراءة لمخالفتها خط المصحف ، ويقول الدكتور محمد عبد الله جبر : (إن اسلوب أكلوني البراغيث أسلوب غير خاطئ وإنه أسلوب أصيل في الساميات ، ولكن التطور أدى إلى التخلي عنه)[٦٨] .

(المخالفة في الصيغة الإعرابية)

تأتي القراءة القرآنية أحيانا بصيغة إعرابية تخالف عما هي عليه في النص القرآني ، ويظهر ذلك واضحا في قوله تعالى : (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ)(الأنعام: من الآية١٤٣) ، قرئ (اثنانِ) على الابتداء ، وهي قراءة إبان بن عثمان[٦٩] ، ومما جاء في سورة الحشر قوله تعالى : (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) (الحشر:١٧)
، قرأ عبد الله (فكان عاقبتهما أنهما خالدان في النار) ولا يشتهي الفراء قراءة الرفع وإن كانت تجوز في نظره ، وذلك لأن الصفة قد عادت على النار مرتين والمعنى للخلود[٧٠] .

ومثله قوله تعالى : (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ)(المائدة: من الآية١٠٧) ، قرئ (الأوليين) على التثنية ، وانتصابه على المدح[٧١] .

(المخالفة في بنية الكلمة)

تحصل هذه المخالفة بزيادة حرف على بنية الكلمة أو حذف حرف منها أو قد يكون التغيير في شكل الكلمة ، وتأتي القراءة القرآنية بكلمة مرادفة لها في المعنى دون المساس بالمعنى الذي يقتضيه النص القرآني ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (المائدة:٣٨)
، قرأ عبد الله : (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما)[٧٢] ، إنما قال : (أيديهما بالجمع لأنه يريد أيمانهما وهي قراءة شاذة فإن ما كان في البدن منه عضوان فإن تثنيته على لفظ الجمع ، فلما كان معنى أيديهما أيمانهم والإنسان ليس له الا يمين واحدة فنزل بمنزلة ما ليس بالبدن منه الا عضو واحد فأتى في تثنيته بلفظ الجمع)[٧٣] ، وقيل أريد باليدين اليمينان ، والدليل على ذلك قراءة عبد الله[٧٤] ، ومما جاء في سورة الشعراء قوله تعالى : (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) (الشعراء:٦١)
، قرئ (فلما تراءت الفئتان)[٧٥] ، أما في قوله تعالى : (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا)(القصص: من الآية٤٧) ، قرأ الكوفيون (سحرن) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف[٧٦] ، فمن قرأ ساحران على أنه تثنية (ساحر) ومن قرا (سحران) على أنه تثنية (سحر)[٧٧] .

واختلفوا في قوله تعالى : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (يّــس:٣٠)
، قرأ أبو جعفر (يا حسرتاي) بياء بعد الألف[٧٨] وأشكل ابن جني على هذه القراءة لأن الألف في (حسرتا) إنما هي – على حد قوله – بدل منن ياء حسرتي أبدلت الياء ألفا هربا إلى خفة الألف من ثقل الياء ، كما يقال : يا غلاما ، ويا صاحبا[٧٩] ، وكذلك في قوله تعالى : ، قرأ عبد الله : (بل يداه بسطان) فيقال : يد مبسطة أي منطلقة منبسطة[٨٠] ، أما في قوله تعالى : (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (ابراهيم:٤١)
، فقد (قرأ الحسن بن علي (ع) وأبو جعفر محمد ، وزيد بن علي (ع) ، وابن يعمر والزهري والنخعي (ولولدي) بدون ألف وبفتح اللام على التثنية ، والمقصود بهما اسماعيل وإسحاق)[٨١] .

هذه هي أهم القراءات التي قرئت في التثنية وموقف النحويين والمفسرين منها .

مصادر البحث

١. أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية ، الدكتور علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٧م
٢. أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز ، الدكتور خليل إبراهيم العطية ، مطبعة التعليم العالي ، البصرة ١٩٩٠م
٣. إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد اسماعيل النحاس ت٣٣٨هـ ، تحقيق زهير غازي زاهد ، مكتبة النهضة العربية ، ط٢ ، ١٩٨٥م
٤. بحوث ومقالات في اللغة ، الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة المدني ، ط١ ، مصر ١٩٨٢م
٥. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١ ، ١٩٥٧م
٦. البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الأنباري ، تحقيق : طه عبد الحميد طه ، مراجعة الدكتور مصطفى السقا ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي ١٩٦٩م
٧. التبصرة في القراءات : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧هـ ، تحقيق : الدكتور محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٥م

٨. تفسير (أبو السعود) المسمى (إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود ت ٩٥١هـ المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٢٨م

٩. تفسير البحر المحيط ، ابو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ ، الناشر : مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، السعودية ، د . ت .

١٠. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٧٩١هـ ، المطبعة اليمينية ، مصر ١٣٢٠ ÷ـ .

١١. الحجة في علل القراءات السبع ، ابو علي الحسن بن أحمد الفارسي ت ٣٧٧هـ تحقيق علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الفتاح شابي ، والدكتور عبد الحليم النجار ، ج٢ ، تحقيق علي النجدي ، والدكتور عبد الفتاح شلبي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، بولاق ، مصر ، ١٩٨٣م

١٢. الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه ت ٣٧٠هـ ، تحقيق : الدكتور عبد العالي سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م

١٣. الدراسات اللغوية والنحوية في قراءات عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ت١١٧هـ ، الدكتور علي جابر المنصوري ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٩٠م.

١٤. روح المعاني : الالوسي البغدادي (ت ١٠٢٧) ، ادارت الطباعه المنيرية ، دار احياء التراث العربي بيروت ـ لبنان . (د.ت) .

١٥. شرح التسهيل ، جمال الدين محمد بن مالك ت ٦٧٢هـ تحقيق : عبد الرحمن السيد ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٤

١٦. شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ت ٦٤٣هـ ، تحقيق : محمد منير ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٣١م

١٧. الضمائر في اللغة العربية الدكتور محمد عبد الله جبر ، مطابع جريدة السفير ، الاسكندرية ، ط١، ١٩٨٣م

١٨. الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ، الدكتور صاحب أبو جناح ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٨م

١٩. كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل للطباعة والنشر ، مصر ، ودار الفاعي الرياض ، د . ت .

٢٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، د . ت .

٢١. اللهجات العربية الغربية القديمة ، جيم رابين ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، الكويت ١٩٨٦م

٢٢. لهجة قبيلة أسد : علي ناصر غالب دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ١٩٨٩م

٢٣. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي ت ٥٤٣هـ ، تحقيق الداج السيد هاشم الرسولي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت.

٢٤. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ تحقيق علي نجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٦م

٢٥. معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ج١ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٥م ، ج٢ ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل وعلي نجدي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م

٢٦. معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج ت ٣١١هـ شرح وتعليق الدكتور عبد الجليل شلبي ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م

٢٧. المقتضب ك أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، دار التحرير للطبع والنشر ، د . ت

٢٨. من وحي القرآن ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨١م

٢٩. مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، مطبعة الديواني ، بغداد ط٣ ، ١٩٨٩م

٣٠. النشر في القراءات العشر ، أبو الخير بن محمد الدمشقي (ابن الجزري ت ٨٣٣هـ) ، صححه وراجعه علي محمد الصباغ ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، د . ت

الهوامش:

١- ينظر : مجمع البيان : ٧/٧

٢- ينظر : روح المعاني : ٧٤/١٧

٣- البرهان في علوم القرآن : ٢٤١/٢

٤- ينظر : البحر المحيط : ٣٦٠/٦

٥- إعراب القرآن : ٩١/٣ – ٩٢

٦- الكشاف : ١٥٠/٣

٧- نسب هذا البيت في الكتاب إلى خظيم المجاشعي : ٤٨/٢

٨- معاني القرآن للفراء : ٣٩٠/٢

٩- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٣٧٦/٢

١٠- الحجة لابن خالويه : ٣٣٠

١١- الكشاف : ٤٦٦/٤ ، وينظر : تفسير البيضاوي : ٤١٧/٢

١٢- ينظر : تفسير أبي السعود : ٩٠/٥

١٣- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٣٣/١

١٤- ينظر : تفسير البيضاوي : ٢٤٢/١

١٥- ينظر : البحر المحيط : ٣٧٠/٣

١٦- إعراب القرآن للنحاس : ٤٥٦/٢

١٧- ينظر : المحتسب : ٣١٦/١

١٨- ينظر : المقتضب : ٣٩/٤

١٩- الحجة في علل القراءات السبع ١٠/٢

٢٠- ينظر : مواهب الرحمن : ١٨٠/١

٢١- الحجة في القراءات السبع : ٧٤

٢٢- ينظر : معاني القرآن وإعرابه :٨٣/١

٢٣- ينظر : التبصرة : ٣٩٢

٢٤- روح المعاني : ١٣٣/١٧

٢٥- ينظر : المحتسب : ٢٤٥/١ ، وإعراب القرآن للنحاس : ١١٩/٢

٢٦- المحتسب : ١٠٠/١

٢٧- التبصرة : ١٨٤ – ١٨٥

٢٨- ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٦٨/١

٢٩- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٧٩/٢

٣٠- ينظر : المحتسب : ٢١٦/١
٣١- ينظر : روح المعاني : ١٠/ ٩٦
٣٢- ينظر : مجمع البيان : ٤٨٤/٦
٣٣- روح المعاني : ٨٠/٢١
٣٤- الحجة لابن خالويه : ٢٣٢ ، وينظر : التبصرة : ٢٥١
٣٥- ينظر : الدراسات اللغوية والنحوية في قراءات عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي : ١٢٢
٣٦- بحوث ومقالات في اللغة : ٧٩ – ٨٠
٣٧- ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٩٧ ، والنشر في القراءات العشر : ٢٢٧/٢
٣٨- معاني القرآن للفراء : ١٤٥/١
٣٩- المصدر نفسه : ١٤٥/١
٤٠- الحجة في علل القراءات السبع : ٢٤٨/٢
٤١- التبيان : ٢٤٦/٢
٤٢- ينظر : التبصرة : ١٨٤ -١٨٥
٤٣- ينظر : لغويون بصريون ، أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز : ٣٦ – ٣٧
٤٤- المصدر السابق : ٣٣ ، وينظر : شرح المفصل : ١٠٧/٩ ، ١١٦
٤٥- ينظر : أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية ٢٠٥
٤٦- ينظر : المحتسب : ١٤٧/١
٤٧- المصدر نفسه : ١٤٧/١
٤٨- ينظر : البحر المحيط : ٣٤٦/٢
٤٩- ينظر : المصدر نفسه : ٢٧٩/٤
٥٠- من وحي القرآن : ٤٤٣
٥١- المصدر نفسه : ٤٤
٥٢- ينظر : المصدر نفسه : ٤٤
٥٣- الكتاب : ٤٣٨/٤
٥٤- ينظر : روح المعاني : ٢٨/ ١٥٣
٥٥- ينظر : روح المعاني : ٢٠ / ٧٦
٥٦- المقتضب : ٣/ ٢٧٥
٥٧- الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز : ٤٦
٥٨- ينظر : روح المعاني :٢٣٥/٤
٥٩- لهجة قبيلة أسد : ١٨٨
٦٠- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢/ ٣٠٦
٦١- ينظر : روح المعاني : ١٥ / ٥٤
٦٢- إعراب القرآن للنحاس : ٢/ ٤٢٠ – ٤٢١
٦٣- الحجة لابن خالويه : ٢٤٢
٦٤- اللهجات العربية الغربية القديمة : ٢٨٣
٦٥- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٨٣ ، وشرح المفصل : ٣/ ١٣٠
٦٦- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢/ ١٨٤
٦٧- ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ١٨٣
٦٨- الضمائر في اللغة العربية : ٢١٤
٦٩- الضمائر في اللغة العربية : ٢١٤
٧٠- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣ / ١٤٦
٧١- ينظر : تفسير البيضاوي : ١ / ٢٨٧ ، وتفسير أبي السعود : ٢ / ٦٨
٧٢- ينظر : معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٠٦
٧٣- البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ٢٩٠ ، وينظر : شرح التسهيل : ١ / ٣٨
٧٤- ينظر : الكشاف : ١ / ٦٣١
٧٥- المصدرنفسه: ٣ / ٣١٦
٧٦- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢ / ٣٤١
٧٧- التبصرة : / ٢٦٠
٧٨- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢ / ٣٤١
٧٩- ينظر : المحتسب : ٢ / ٢٣٧
٨٠- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢ /٣٦٣
٨١- ينظر : روح المعاني : ١٣ / ٢٤٣